

تفسير القرآن الكريم

٣٦ ١١-١١-١٤٠ سورة الحجر

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

سورة الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ قُرْآنٍ مُبِينٍ
(١)

سورة الحج

رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا
مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾

سورة الحجر

ذُرُّهُمُ يَأْكُلُوا وَ يَتَمَتَّعُوا وَ يُنْهَمُّ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

سورة الحجر

وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا
يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٥﴾

سورة الحجر

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾

سورة الحجر

لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأِيكَةِ إِن كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾

سورة الحج

مَا نُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ
مَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿١﴾

سورة الحج

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾

سورة الحجر

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِبَعِ
الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾

وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾

سورة الحج

كَذَلِكَ نَسُئُكَ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ
(١٢)

لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ
الْأَوَّلِينَ (١٣)

سورة الحجر

وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ
نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ
زِينَاتٍ لِّلنَّازِحِينَ ﴿١٦﴾

سورة الحجر

وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ
(١٧)

إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ
شَيْهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

سورة الحجر

وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ الْأَقْيَنَّا فِيهَا
رَوَاسِي وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ
شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾

سورة الحج

وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَن
لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾

سورة الحجر

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ
وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ
(١١)

سورة الحجر

وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَ
مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾

سورة الحجر

وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَ
نَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾

سورة الحج

وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ
لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾

سورة الحجر

وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

سورة الحجر

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ
مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٦)

سورة الحجِر

وَ الْجَانُّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ
السَّمُومِ (٢٧)

وَ خَلَقَ الْجَبَانُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ
 رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ
 يُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا
 عَلَى أَنْفُسِنَا وَخَرَّبْنَاهُمْ أَلْحِيَاءَ الدُّنْيَا وَ
 شَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ

قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ
الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا

وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنَّ
 يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ
 قَالُوا أَنصَبُوا لِمَا قُضِيَ وَلَوْ
 إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ

قُلْ لئن لم ينزلنا القرآن لآ
 ظلمنا إن يأتوا بمثل هذا القرآن لا
 يأتون بمثلِه و لو كان بعضهم
 ليغضن ظهيرا

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَ
 الْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَ
 لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَ لَهُمْ
 آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ
 بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ
الْجِنِّ فَدَخَلُوا فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ
لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا
قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ لَوَئِذَا هُم بِرَبِّهَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا
فَاتَّيَهُمُ عَذَابٌ ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ
وَ لَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ

وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا
 شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي
 بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
 غُرُورًا وَ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
 فَذَرُهُمْ وَ مَا يَفْتَرُونَ

يُوحِي بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ

• و قوله «يُوحِي بَعْضَهُمْ إِلَى بَعْضٍ» معناه يلقي اليه **بكلام خفي**، و هو الدعاء و الوسوسة.

• و قوله «زُخْرَفَ الْقَوْلِ» معناه هو المزين يقال زخرفه زخرفة إذا زينته و «غُرُورًا» نصب على المصدر.

يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ

• والمعنى: و مثل ما جعلنا لك جعلنا لكل نبي عدوا هم شياطين الإنس و الجن يشير بعضهم إلى بعض - و كأن المراد وحي شياطين الجن بالوسوسة و النزغة إلى شياطين الإنس و وحي بعض شياطين الإنس إلى بعض آخر منهم بإسرار المكر و التسويل - بأقوال مزوقة و كلمات مموهة يغرونهم بذلك غرورا أو لغرورهم و إضلالهم بذلك.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ
 اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قَالِ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ
 الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَ بَلَغْنَا
 أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتِ لَنَا قَالِ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
 خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ
 عَلِيمٌ

يا معشرَ الجنِّ قد استكثرتم من الإنسِ

• «يا معشرَ الجنِّ قد استكثرتم من الإنسِ»

• أي قد استكثرتم ممن أضللتموه من الانس
بالإغواء و الإضلال.

• قال ابن عباس و الحسن و قتادة و مجاهد: معناه
استكثرتم من اغوائهم و اضلالهم

يا معشر الجنِّ قد استكثرتم من الإنس

• قوله تعالى: «و يوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجنِّ - إلى قوله - أجّلت لنا» يقال:

• أكثر من الشيء أو الفعل و استكثر منه إذا أتى بالكثير، و استكثر الجن من الإنس ليس من جهة أعيانهم فإن الآتى بأعيانهم فى الدنيا و المحضر لهم يوم القيامة هو الله سبحانه، و إنما للشياطين الاستكثر مما هم مسيطون عليه و هو إغواء الإنس من طريق ولايتهم عليهم

يا معشرَ الجنِّ قد استكثرتم من الإنسِ

- وليست بولاية إجبار و اضطرار بل من قبيل التعامل من الطرفين يتبع التابع المتبوع ابتغاء لما يرى في اتباعه من الفائدة، و يتولى المتبوع أمر التابع ابتغاء لما يستدر من النفع في ولايته عليه و إدارة شؤنه،

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

• «وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ».

• وَقِيلَ فِي وَجْهِ الْاسْتِمْتَاعِ مِنْ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ قَوْلَانِ:

• أَحَدُهُمَا - بِتَرْيِينِ الْأُمُورِ الَّتِي يَهْوُونَهَا حَتَّى يَسْهَلَ عَلَيْهِمْ فَعْلَاهَا.

وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

- والثاني - قال الحسن و ابن جريج و الزجاج و الفراء و غيرهم: انه إذا كان الرجل أراد ان يسافر فيخاف سلوك طريق من الجن فيقول: أعوذ بسيد هذا الوادي، ثم يسلك فلا يخاف، كما قال تعالى «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» «٣»
- و وجه استمتاع الجن بالانس أنهم إذا اعتقدوا ان الانس يتعوذون بهم، و يعتقدون انهم ينفعونهم و يضرورونهم أو أنهم يقبلون منهم إذا أغووهم كان في ذلك تعظيم لهم و سرور و نفع، ذكر ذلك الزجاج و البلخي و الرمانى.

وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

- وقال البلخي: و يحتمل ان يكون قوله «استمتع بعضنا ببعض» مقصوراً على الانس، فكأن الانس استمتع بعضهم ببعض دون الجن.

وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

• فللجن نوع التذاذ من إغواء الإنس و الولاية عليهم، و للإنس نوع التذاذ من اتباع الوسوس و التسويلات ليستدروا بذلك اللذائذ المادية و التمتع النفسانية.

• و هذا هو الذي يعترف به أولياء الجن من الإنس بقولهم: رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ فَمَتَعْنَا بَوَسَاوِسِهِمْ و تسويلاتهم من متاع الدنيا و زخارفها، و تمتعوا منا بما كانت تشتهيهم حتى آل أمرنا ما آل إليه.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ
 اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَ قَالِ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ
 الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَ بَلَّغْنَا
 آجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالِ النَّارُ مَثْوَاكُمْ
 خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ
 عَلِيمٌ

وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا

- و قوله «بَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا» قيل في معناه قولان:
- أحدهما - قال الحسن و السدي: انه الموت.
- الثاني - الحشر، لان كل واحد منهما اجل في الحكم، فالموت اجل استدراك ما مضى، و الحشر اجل الجزاء.

وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا

- و قال ابو على: في الآية دلالة على انه لا اجل الا واحد، قال لأنه لو كان له أجلان فكان إذا اقتطع دونه بأن قتل ظلما لم يكن بلغ أجله، و الآية تتضمن انهم اجمع يقولون: بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا.
- و قال الرمانى و غيره من البغداديين: لا تدل على ذلك، بل لا يمتنع ان يكون له أجلان: أحدهما ما يقع فيه الموت، و الآخر ما يقع فيه الحشر، و ما كان يجوز أن يعيش اليه.

وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا

• و من هنا يظهر - كما يعطيه السياق - أن المراد بالأجل في قولهم: «وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا» الحد الذي قدر لوجودهم و الدرجة التي حصلت لهم من أعمالهم دون الوقت الذي ينتهي إليه أعمارهم و بعبارة أخرى آخر درجة نالوها من فعلية الوجود لا الساعة التي ينتهي إليها حياتهم فيرجع المعنى إلى أن بعضنا استمتع ببعض بسوء اختياره و سيئ عمله فبلغنا بذلك السير الاختياري ما قدرت لنا من الأجل، و هو أنا ظالمون كافرون.

يا معشر الجنِّ قد استكثرتم من الإنسِ

• الميزان في تفسير القرآن، ج ٧، ص: ٣٥٣

• فمعنى الآية: و يوم يحشرهم جميعا لیتم أمر الحجاج عليهم فيقول للجن: يا معشر الجن قد استكثرتم من ولاية الإنس و اغوائهم، و قال اولياؤهم من الإنس في الاعتراف بحقيقة الأمر: ربنا استمتع بعضنا ببعض فاستمتعنا معشر الإنس من الجن بأن تمتعنا بزخارف الدنيا و ما تهووا أنفسنا بتسويلاتهم، و تمتع الجن منا باتباع ما كانوا يلقون إلينا من الوسوس و كنا على ذلك حتى بلغنا آخر ما بلغنا من فعليه الحياة الشقية و درجة العمل.

• فهذا اعتراف منهم بأن الأجل و إن كان بتأجيل الله سبحانه لكنهم إنما بلغوه بطيهم طريق تمتع البعض من البعض، و هو طريق سلكوه باختيارهم. و لا يبعد أن يستظهر من هنا أن المراد بالجن الشياطين الذين يوسوسون في صدور الناس من الجن.